التناظر بين سورتي العنكبوت والبروج

The analogy between the spider and zodiac surahs

١- د. خالد أحمد النعانعة،

٢- أ.د. أيمن عيد الرواجفة*

Dr.. Khaled Ahmed Al Naanaa

Dr. A .Profyman ، ARawajfa

١ جامعة منيسوتا الإسلامية العالمية، الولايات المتحدة الأمريكية

٢ جامعة الطفيلة التقنية، كلية الهندسة، الطفيلة ٦٦١١٠، الأردن

* تلفون: +٩٦٢٣٢٢٥٠٠٣٤، فاكس: +٩٦٢٣٢٢٥٠٤٣١، بريد إلكتروني: aimanr@yahoo.com

الملخص

تتلخّص فكرة هذا البحث حول التّناظر والتّقابل والتّكامل والتّرابط بين سور القرآن الكريم، إذ تُناظر سور القرآن بعضها بعض، فكل سورة في النّصف الأوّل من القرآن الكريم تناظرها سورة أخرى في النّصف الثّاني، ومن البحث تبيّن أنّ سورة العنكبوت وهي في النّصف الأوّل تناظرها سورة البروج في النّصف الثاني" وهو مدار هذا البحث"؟

فالسّورتان تتكاملان بصورة بديعة متناسقة، ولا سيّما أنَّ المحور الذي تدور حوله السورتان يتشابه إلى حدّ كبير، وكذلك تتقابل فيه الموضوعات بشكل قريب جداً، فكلٌّ من السورتين تتحدّث عن الفتن والابتلاءات في حياة المؤمنين.

وفي هذا البحث يتمّ الكشف عن هذا التّناغم والتّناظر بين السّورتين، لنرى تكاملاً واضحاً بين موضوعاتهما، وذلك في حقيقة الابتلاء، وأصناف المبتلين، وكيفيّة التّعامل مع من يوقع البلاء على المؤمنين، وما السّلاح الذي يجب أن يتسلّح به المؤمن في مواجهة المحن والابتلاءات.

الكلمات المفتاحية: التّناظر، محور السّور، الابتلاء، الفتن.

Abstract

This research sheds light on ideas on symmetry, converging, integration and interdependence among the Holy Qur’an verses to each other. Each verse, in the first half of the holy Qur’an corresponds with another verse in the second half. Thus, this research has shown that Al-‘Ankabut Verse, in the first half, corresponds to Al- Burooj verse, in the second half of the Holy Qur’an. Both two verses integrate to one another in an adorable, symmetric way, particularly the center around which the two verses go, as well as the issues that converge in them. As each verse of them discusses a set of seditions and afflictions in the believers’ (Mu’munon) life. Additionally, this research reveals the harmony and symmetry between these two verses to see a full, apparent integration in the issues, particularly in the reality of ‘affliction’ and the classes of those who are tried, and how to deal with those who cause affliction on the believers, and how a believer can be armed to encounter the plights and distresses.

Key Words: Symmetry; Affliction; Seditions.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيّما، جعله الله تعالى للحياة نوراً مبيناً، وللناس هدًى قويمًا، ولأسقامهم شفاءً عظيمًا، وجعله تبياناً لكلّ شيءٍ ورحمةً للمؤمنين، وذكرًا خالدًا إلى يوم الدّين.

وهو دستور هذه الأمّة، فمنه يستمدّ المسلم عقيدته، وبه يعرف عبادته وما يرضي ربّه عزّ وجلّ، وفيه ما يحتاج إليه من التّوجيهات والإرشادات في الأخلاق والمعاملات، يخاطب النّفس البشريّة من كلّ مداخلها.

أنزله الله كتاب هداية للنّاس، ومنهاج حياة، ليعمل به ويحقق مقصود الإنسان من خلقه على هذه الأرض، وإنَّ المقصود الأكبر من إنزال القرآن الكريم هو التّدبّر قال تعالى: **{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)} [ص: ٢٩].**

وقد نعى الله سبحانه وتعالى على أولئك الذين لا يتدبرون القرآن ولا يفقهون معانيه ومراميه، قال تعالى: **{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)} [النساء: ٨٢].**

وكلّما أنعمنا البحث في القرآن الكريم وجدنا فيه من الأسرار والأحكام ما يجعل العلماء دائمي البحث والتّنقيب عن هذه الأسرار، وممّا لا شكّ فيه أنّ علم المناسبات من أعظم علوم القرآن دقّةً وإحكامًا وجمالًا، وأهمّها دراسةً وبيانًا، قال الرّازي: "علم المناسبات علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقّته بالقبول." [١]

وهذه الدّراسة تركّز على جانبٍ من علم المناسبات ألا وهو التّناظر في القرآن الكريم، والذي يتداخل مع المناسبات في بعض فروعه، وموضوع التّناظر موضوع بكر يحتاج إلى مزيد من البحث والنظر ففيه فوائد كثيرة وحكم جليلة، إذ قام أستاذان كريمان[٢] بالبدء بدراسته نظريّا وبيان جانب عمليّ تطبيقيّ لهذا الموضوع.

---

١ – انظر، الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر(ت:٧٩٤)، الرّهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦ه–١٩٥٧م، ط١، ج١، ص ٣٦.

٢ – التّناظر في القرآن الكريم تأصيل وتطبيق، أ.د. سليمان الدقور، و أ.د. أيمن الرواجفة.

أوّلا: أهميّة الموضوع:

تكمن أهميّة الموضوع لاتّصاله بالقرآن الكريم، فشرف العلم من شرف المعلـــوم، ولا شكّ أنَّ سور القرآن الكريم وآياته لها ارتباط وثيق بعضها ببعض، وهذ البحث يكشف جانبًا من أسرار هذا الارتباط بين سور القران الكريم، وسوف يكشف هذا البحث التّناظر والتّقابل بـــين سورتي العنكبوت والبروج.

ثانيا: أهداف البحث:

١- إبراز ما في القرآن الكريم من أسرار ودقّة وإحكام، من ترابط آياته بعضها ببعض وكذلك سوره.
٢- تحديد التّناظر بين سورتي العنكبوت والبروج من جهة الموضوعات والمحور العامّ للسّورتين.
٣- دراسة التّناسق والتّرابط بين سور القرآن الكريم، وبيان أنّها مصفوفة كحبّات العقد ليس بينهما نشاز ولا تضادّ.
٤- بيان جانبٍ من الفوائد التربويّة والدّعويّة في سورتي العنكبوت والبروج، ومـــدى حاجة الدّعاة والمصلحين إلى مثل هذا الزّاد التّربويّ والإيمانيّ في طريق الحقّ.

ثالثاً: الدّراسات السّابقة:

يعدُّ موضوع التناظر بكراً لا يزال في مراحله الأولى من البحث، لم يلجه العلماء من قبـــل إلّا ما كان من دراسات متفرّقة في كتب علوم القرآن، وبعض الدّراسات العلميّة في موضـــوع المناسبات في القرآن الكريم، إلى أن فتح الله تعالى على أستاذين كريمين (الاســـتاذ الـــدكتور سليمان الدقور، والاستاذ الدكتور أيمن الرواجفة) إذ ولجا هذا المجال في دراسات علمية جـــادة كانت تحت عنوان (التّناظر) ومنها:

١. نظريّة شبكة التّناظر " التّناغم في القرآن الكريم: مبدأ النّظرية "، د. أيمن الرواجفـــة، وأصّلت هذه الدّراسة جانبا من هذه النظرية، وذكر الباحث نماذج لبيان التّنـــاظر بـــين السّور، وكذلك الآيات والموضوعات.
٢. التّناظر في القرآن الكريم تأصيل وتطبيق، أ.د. سليمان الدقور، و أ.د. أيمن الرواجفة؛ إذ بيَّنا فكرة التناظر في القرآن الكريم، وأصَّلا له بوصفه ظاهرة قرآنية، ووضعا لـــه

تعريفا، وبيّنا أنواعه في القرآن الكريم. وهذه الدراسة جاءت استكمالاً لهذا الجهد من ناحية تطبيقيّة، وذلك على سورتي العنكبوت والبروج، و بيّنت ما في السّورتين من تناظر وتقابل.

٣. نظريّة المجموعات (الزمر) والتّناظر في القرآن الكريم تناظر السور" د. أيمن الرواجفة، بين الباحث التّناظر في القرآن الكريم، إذ ذكر أن كلَّ سورة في النّصف الأوّل من القرآن تناظرها وتقابلها سورة أخرى في النّصف الثّاني، وكذلك في السّورة الواحدة كل آية في النّصف الأوّل منها تقابلها وتناظرها آية أخرى في النّصف الثّاني، ثمّ ذكر أن التّناظر ممكن في الآية الواحدة، وذكر أمثلة على هذه الأنواع. وجاءت هذه الدّراسة تطبيقيّة لما تمّ تناوله في الدّراسات السّابقة، ولاسيّما النّوع الأوّل من التّناظر وهو تناظر السّور مع بعضها بعض، لنرى بدراسة تطبيقيّة التّناظر بين سورة العنكبوت التي جاءت في النّصف الأوّل وسورة البروج التي جاءت في النّصف الثّاني.

رابعاً: حدود هذه الدراسة:

ستركّز هذه الدّراسة على التّناظر بين سورتي العنكبوت والبروج، ولن يتطرّق الباحث إلى التّناظرات الأخرى في القرآن الكريم، كون هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة وافية وجهد كبير، ويُترك التّناظر في الأنواع الأخرى لدراسات علميّة جادّة تتناوله بالبحث والبيان.

خامساً: هيكل البحث:

جاء هذا البحث في مقدّمة ومبحثين وخاتمة على النّحو الآتي:

المقدّمة: اشتملت على أهميّة البحث، وأهدافه، والدّراسات السّابقة، وحدود البحث، وخطّته.

المبحث الأوّل: التّأطير النّظريّ وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: معنى التّناظر.

المطلب الثّاني: تعريف عامّ بسورة العنكبوت.

المطلب الثّالث: تعريف عامّ بسورة البروج.

المبحث الثّاني: التّناظر بين موضوعات سورتي العنكبوت والبروج، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأوّل: أصناف المبتلين كما تعرضه السّورتان.

المطلب الثّاني: التّعامل مع من يوقع البلاء على المؤمنين.

المطلب الثّالث: سلاح المبتلى (الإيمان والعمل الصّالح)

المبحث الرّابع: عاقبة المبتلَين والمبتلِين.

الخاتمة: تناولت أبرز النّتائج التي توصّلت إليها الدّراسة، التّوصيات.

وفي الختام أسال الله سبحانه وتعالى الإخلاص والتّوفيق، وما كان مِن صوابٍ فَمِن الله وحـــده، وما كان مِن خطأ فمنّي، والله ورسوله منه براء، والله المستعان.

وصلّى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: التأطير النظري

المطلب الأول: معنى التناظر.

أوّلًا: التّناظر لغة.

يرجع التّناظر إلى الجذر الثّلاثي " نَ ظَ رَ "، قال ابن فارس:" النون والظـــاء والـــراء أصلٌ صحيح يرجع فروعُه إلى معنًى واحد وهو تأمُّلُ الشّيءِ ومعاينتُه، ثم يُستعار ويُتَّسَع فيه، فيقال: نظرت إلى الشّيءِ أنظُر إليه، إذا عاينْتُه. وحَيٌّ حِلَالٌ نَظَرٌ: متجاوِرون ينظرُ بعضُهم إلى بعض. ويقولون: نَظَرتُه، أي: انتظرته". (١)

وقد أشار ابن فارس إلى التّناظر وهو التّقابل فقال:" هذا نظيرُ هذا، من هـــذا القيـــاس؛ أي: أنَّه إذا نُظِرَ إليه وإلى نَظِيرِهِ كانا سواءً". وهو عين ما يعنينه التّناظر في دراستنا هذه.

ثانيا: التّناظر اصطلاحاً.

ذكر الباحثان الكريمان أ.د. سليمان الدقور وأ.د. ايمن الرواجفة، وهما من أصّلا لهـــذا الموضوع، تعريفا للتّناظر فقالا:" التّناظر منهجيّة قرآنية تؤكّد بناء سور القرآن الكريم وآياتـــه على نظام واضح ومحدّد منضبط تتوافق فيه السّور القرآنية لتكون كل سورة مناظرة لســـورة أخرى، وتتوافق فيه الآيات في السّورة الواحدة لتكون كل آية مناظرة لآية أخرى". (٢)

فمن المعنى اللغوي لكلمة التناظر، وما جاء من تعريف اصطلاحيّ له، نستطيع القـــول إنّ التّناظر: هو علاقة توافق وتشابه بين سور القرآن الكريم وآياته، لعلاقة تربط بينهما، وهذه العلاقات كثيرة جدّا، مثل: الموضوعات والمحور لكلّ سورة، وعلاقة الزّمان والمكان، علاقـــة المقصد، والعلاقات اللّغوية المتعدّدة، وغيره كثير من العلاقات.

١- ابن فارس، أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا (ت: ٣٩٥ه)، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـــ - ٢٠٠٢م، ج٥ص.

٢ -سليمان الدقور وأيمن الرواجفة، التّناظر في القرآن تأصيل وتطبيق، مجلّة إسلاميّة المعرفـــة، العـــدد:٩٦، السّنة الرّابعة والعشرون، ربيع ١٤٤٠ه / ٢٠١٩م، ص٢٢-٢٣

المطلب الثاني: تعريف عام بسورة العنكبوت:

أولًا: تسميتها:

ذكر كثير من أهل العلم والمفسّرين أن سورة العنكبوت سمّيت بهذا الاسم لما ورد فيها من ذكر للعنكبوت، إذ ضرب الله تعالى فيها مثلا شبَّه فيه الكافرين بالعنكبوت، وشبّه آلهتهم ببيتها، فهي اتخذت بيتا ضعيفًا واهنًا، والكافرون اتّخذوا أصنامًا آلهة لا تغني شيئا، ولا تردّ عن نفسها ضرًّا، ولا تجلب لها نفعًا، وذلك في قوله تعالى:**{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)} [العنكبوت: ٤١].**[1]

وعندما نتحدّث عن اسم السّورة وأنّها سميّت بهذا الاسم لأنّها ذكر فيها العنكبوت، فهذا بالمعنى العامّ وهو صحيح لا خلاف فيه، لكن هل هذه العلّة وحدها كافيه؟ أم إنّنا نستطيع أن نستنتج أسبابا أخرى لهذه التّسمية؟ ولا سيّما وأنّ هناك موضوعات أخرى ذات أهميّة كبيرة وردت في هذه السّورة، فلماذا لم يتم تسمية هذه السّورة بها أو بغيرها؟.

لذا وجب علينا أن نبحث عن سبب آخر لتسمية سورة العنكبوت بهذا الاسم، وما علاقة الاسم بموضوع السّورة، وبمحورها العامّ الذي تدور حوله.

حديث السّورة من بدايته الى نهايته عن سنّة من سنن الله في خلقه، ألا وهي سنّة الابتلاء، والفتن التي تحيط بالإنسان في هذه الدنيا، ويبقى السّؤال قائمًا، لماذا سمّيت سورة العنكبوت بهذا الاسم؟ وما علاقته بموضوعها الذي يتحدّث عن الفتن والابتلاء؟ وما علاقة الفتن والابتلاء بالعنكبوت هذا الحيوان الضّعيف، ضعيف في بنيته، وكذلك في خيوطه التي نسجها، وبيته الذي عمره وهو يعتريه الضّعف، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك الوهن في قوله تعالى:" {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)} [العنكبوت: ٤١].

<u>إذًا فعلاقة الابتلاء بالعنكبوت هو عنوان لهذه السّورة التي تشير إلى ضعف الكافرين عند الابتلاء.</u>

---

١ – أنظر، القاسمي، محمد جمال الدّين بن محمد سعيد بن قاسم الحلّاق (ت: ١٣٣٢هـ)، محاسن التّأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ه، ط١، ج١، ص ٥٤٤.

ومعلوم أن الأنثى هي التي تبني بيتا في أسرة العنكبوت، والأنثى في كل صنف من أصناف الخلق هي أضعف من الذّكر، وهذا ليس عيبا؛ فلقد أودع الله تعالى في كل صنف من أصناف الخلق ما يؤهّله للقيام بدوره الذي أناطه الله تعالى به، فإذا كانت الأنثى الضّعيفة في بنيتها هي التي تبني البيت فلا شكّ أنّ البيت ضعيف، ولا أقصد بالضّعف هنا الضعف المادي البنيوي فحسب، بل هناك ضعف اجتماعيّ، وضعف في الأدوار والمقاصد.

والكافر المشرك كالعنكبوت الأنثى في حالة واحدة، الحالة هي الضّعف والوهن، فالمشرك عندما يتّخذ غير الله إلها فهو ضعيف كحال العنكبوت وهي تبني بيتها، فهي ضعيفة، وبيتها كذلك ضعيف.

فكما أن بيت العنكبوت ضعيف، فإن الأفكار والاتّجاهات التي يحاط بها الكافر واهية ضعيفة تذهب أدراج الرّياح إذا ما تعرّضت لقوّة الإيمان وقوة العقيدة الراسخة.

ثمّ إنّ تداخل الفتن يشبه خيوط العنكبوت، فالفتن بطبيعتها متشابكة ومتداخلة، وحياة المرء مليئة بالفتن التي ربّما لا يكاد يحصيها، لكن هذه الفتن هشّة ضعيفة إذا ما كان المرء مستعينا بالله، قويًّا به تعالى في مواجهتها، [١] إذا فعلاقة الاسم بالسّورة واضحة؛ فهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع السّورة ومحورها العامّ.

ثانيا: المحور العامّ للسّورة:

ممّا مرَّ سابقاً نستنبط القول: إنّ المحور العام للسّورة، والموضوع التي تتحدّث عنه من بدايتها إلى نهايتها، هو الحديث عن الفتن والابتلاء الذي يصيب الإنسان، وأنّ هذه الابتلاءات أمر حتميّ في حياته، وسنّة كونيّة لا يكاد يسلم منها إنسان:" **{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)} [العنكبوت: ٢].**

يقول سيد قطب رحمه الله: "ومحور السّورة هو الحديث عن الفتنة والابتلاء لمن يقول كلمة الإيمان، لتمحيص القلوب وتمييز الصّادقين والمنافقين بمقياس الصّبر على الفتنة والابتلاء، وذلك مع التّهوين من شأن القوى الأرضية التي تقف في وجه الإيمان والمؤمنين وتفتنهم بالأذى وتصدّهم عن السّبيل، وتوكيد أخذ الله للمسيئين ونصره للمؤمنين الذين يصبرون

---

١ – أنظر، خالد، عمرو، خواطر قرآنية نظرات في أهداف سور القرآن، بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م، ط١، ص٣٠٤.

على الفتنة، ويثبتون للابتلاء. سنّة الله التي مضت في الدّعوات من لدن نوح عليه السّلام. وهي السّنّة التي لا تتبدّل، والتي ترتبط بالحقّ الكبير المتلبس بطبيعة هذا الكون، والذي يتمثّل كذلك في دعوة الله الواحدة التي لا تتبدّل طبيعتها".

ثم اختتمت السّورة ببيان كيفيّة مدافعة هذه الفتن، وذلك بالجهاد، ومِنَ الجهاد مجاهدة النّفس، التي هي منطلق أيّ جهاد: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)} [العنكبوت :٦٩].**

ثالثا: موضوعات السّورة:

ذكرت السّورة عدّة موضوعات وهذه الموضوعات كلّها لها ارتباط وثيق بالفتن والابتلاءات، التي هي اختبار من الله لعباده ليرى ثباتهم وصبرهم وهذه الموضوعات هي:

فتنة الدّين والوالدين، فتنة النّاس" التّهديد والتّعذيب"، فتنة الشّهوة، فتنة العلم، فتنة القوّة، فتنة الحياة الدّنيا، فتنة الأمن والأمان.

المطلب الثالث: تعريف عام بسورة البروج:

أولا: تسميتها.

سمّيت سورة البروج بهذا الاسم، لأنّ الله سبحانه وتعالى أقسم بالنّجوم والكواكب السّيّارة في بداية السّور فقال تعالى: **{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١)} [البروج: ١]**، وشبّهت النّجوم بالبروج وهي القصور لعظمها وعلوّها، وهذا مأخوذ من معنى البروج كما قال الشهاب: الأمر الظاهر من التبرّج، ثم صار حقيقة في العرف للقصور العالية؛ لأنّها ظاهرة للناظرين. [١]

يقول ابن فارس: البُرْجُ واحِدُ بُروجِ السّماء، وأصل البرُوج الحُصونُ والقُصور، قال الله تعالى: **{وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [النساء ٧٨]**. [٢]

١- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت: ١٠٦٩هـ)، حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القاضي وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، بيروت: دار صادر، ج٨، ص٣٤١.

٢ – انظر، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١، ص٢٢٦.

لكن ما علاقة البروج بموضوع السّورة ومحورها العام؟ الله سبحانه وتعالى يقسم بالسّماء ذات البروج العالية العظيمة في منازلها وعلوّها، والله تعالى هو الذي خلقها بعظمها ومنازلها، فالذي خلق هذه المخلوقات على عظمها قادر على أولئك الذين يتجبّرون في الأرض، قادر على أولئك الذين يفتنون النّاس عن دينهم، قادر على الانتقام منهم، فلا أحد يفلت منه تعالى فهو خالق كل شيء ومالكه، وكذلك عندما يقسم باليوم المشهود وهو يوم القيامة ويوم البعث يريد أن يذكر هؤلاء أن هذا اليوم يجتمع فيه الخصوم فيأخذ الحقّ للمظلوم من الظّالم، ويعطي كل ذي حقّ حقّه.

ثانيا: المحور العامّ للسّورة:

تدور سور البروج حول موضوع الفتن وما يتعرّض له المؤمنون من ابتلاءات في دينهم، وفيها تسلية للرّسول صلّى الله عليه وسلم وأصحابه عمّا يلحق بهم من أذى المشركين، فما أصابهم قد أصاب غيرهم ما هو أكثر منه وأشدّ، ولا سيما أن نزول هذه السّورة جاء وقت اشتداد أذى قريش على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه وما لاقوه من تعذيب وتضييق.

فنزلت هذه السّورة لتذكّرهم أنّهم ليسوا بدْعاً من الأمم، فما يلاقونه في سبيل دينهم ودعوتهم قد أصاب أقواما آخرين، ومنهم أصحاب الأخدود الذين لاقوا صنوفا من الأذى والعذاب، لكنّهم لم يحيدوا عن طريقهم، بل ثبتوا على دينهم، وقدّموا أرواحهم رخيصة في سبيل الله.

والسّورة تبيّن مصير المؤمنين المستضعفين، وكذلك الظّالمين المعتدين، فما يلقاه المؤمنون من ابتلاء وفتن ربّما يعرض لهم في كل وقت وحين، فهو تصوير لحال طالما تعرّض له المؤمنون وأصحاب المبادئ من صرفهم عن دينهم وامتحانهم في عقيدتهم، وما يفعله الظالمون المعتدون من تنكيل وتعذيب هو كذلك حلقة مستمرة في حياة الابتلاء والمحن.

ثالثا: موضوعاتها:

يمكن تقسيم السورة إلى نصفين متساويين في عدد الآيات، يتحدثان عن موضوعين يخصّان مقصدها، في ستّ مجموعات من الآيات؛ تتحدّث كلّها عن ملك الله وعلمه وقدرته على الإحاطة بأعمال العباد ووعيده وقدرته على جمعهم وحسابهم على أعمالهم في الخير أو الشرّ، كما يأتي:

أولًا – قتل أصحاب الأخدود:

– الآيات (١–٣) ابتدأت السّورة بالقسم على هلاك أصحاب الأخدود الذين عـذّبوا المـؤمنين بالنار: القسم بالسماء ذات البروج (وهي النجوم الهائلة، ومداراتها الضخمة، التي تدور فيها تلك النجوم)، وباليوم العظيم المشهود وهو (يوم القيامة)، وبالرّسل والخلائق، على هـلاك ودمـار المجرمين، الذين طرحوا المؤمنين في النار، ليفتنوهم عن دينهم.

– الآيات (٤–٧): وما أخذوهم بمثل هذا العقاب الشّديد إلا أن كانوا مؤمنين بالله العزيز الحميد الذي له الملك ولا يخفى عليه شيء.

– الآيات (٨–١١) الوعيد والإنذار، لأولئك الفجّار ولمن فعل فعلتهم القبيحة الشنيعة، (إذا نجوا بفعلتهم هذه في الدنيا لأمر أراده الله، وإذا لم يتوبوا) بالعذاب في جهنّم. أمّا الذين تابوا وآمنـوا وعملوا الصالحات فلهم الفوز في جنّات تجري من تحتها الأنهار.

ثانياً – الانتقام من الظالمين (وهنا محور التناظر في السورة بالانعكاس (بداية مـع نهايـة)، كصورة في المرآة):

– الآيات (١٢–١٦) التّأكيد على قدرة الله على الانتقام من أعدائه الكفرة، الذين فتنـوا عبـاده وأولياءه. فانتقام ربّنا شديد، وهو يُبدئ ثمّ يُعيد، وهو الغفور الودود، ذو العرش المجيد، فعّـال لما يريد. (وفي قصص هلاك فرعون وثمود أعظم دليل على انتقام ربّنا).

– الآيات (١٧–٢٠) ختمت السّورة بقصّة هلاك ودمار الطغاة الجبابرة الذين كفـروا وكـذّبوا الأنبياء، وهم أقوام فرعون وثمود، بسبب البغي والطغيان. ولا يزال الذين كفروا في تكـذيب متواصل كدأب مَن قبلهم، والله محيط بهم علمًا وقدرة.

– الآيات (٢١، ٢٢): وأنّ هذا القرآن العظيم الكريم، في لوح محفـوظ، لا ينالـه تبـديل ولا تحريف.

المبحث الثاني:

التناظر بين موضوعات سورتي العنكبوت والبروج

تمهيد:

إذا أنعمنا النّظر في السّورتين سنجد أنّ هناك تناظراً واضحاً بين موضوعات السّورتين، ولا سيّما التّناظر بين محوري السّورتين؛ فسورة العنكبوت من بدايتها إلى نهايتها تتحدّث عن سنّة من سنن الله تعالى، ألا وهي سنّة الابتلاء والفتن، فالإنسان معرض لأن يبتلى في شؤون حياته كلّها، يفتن بالمال والبنين والسلطة والشّهوة، وغيرها من الابتلاءات، ولا يظنّنّ أحد أنّه قد ينجو من الفتن والبلايا، فقد ابتلي من هم أشد إيمانا؛ الأنبياء والرّسل.

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ، فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ". (١)

أمّا سورة البروج فقد عرضت لنا قصة أصحاب الأخدود؛ الذين تعرضوا لأشد أنواع الابتلاءات والفتن في دينهم، فقد واجهوا قوّة طاغية غاشمة أرادت ثنيهم عن دينهم، وصدّهم عن عقيدتهم وإيمانهم، إلّا أنّهم صبروا على ذلك، وآثروا الموت في سبيل الله تعالى على أن يرجعوا عن دينهم كفارا.

فالسورتان تتحدّثان عن ذات الموضوع، وتعرضان موضوع الابتلاء بصورة تكاملية يكمّل بعضه بعضا، ونجد بينهما تناظراً فريداً جميلاً بصورة منسجمة متناسقة كأنّهما سورة واحدة، وسنجد تفاصيل هذا التّناظر في ثنايا هذه الدّراسة إن شاء الله تعالى.

---

١ – رواه أحمد، بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (ت: ٢٤١هـ)، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨ م، ط١، ج١، ص ١٧٢.

المطلب الأول: أصناف المبتلين كما تعرضه السورتان.

عرضت السّورتان صورًا عدّة من أصناف الابتلاء في حياة البشريّة، ففي سورة العنكبوت نجد الحديث عن ابتلاء بعض الأنبياء:" نوح، إبراهيم، لوط، شعيب، هود، صالح، موسى عليهم السّلام جميعا".

فالأنبياء عليهم السّلام هم النماذج البشريّة السّامية في تعرضهم لأنواع الابتلاء، وكلّ واحد منهم يتميّز من غيره في نوع البلاء الذي واجهه ووقع عليه؛ ليكونوا مثالاً يحتذى به، ولتتأسّى بسيرهم البشريّة جميعها، في حين نجد أن سورة البروج تعرض نموذجا لصنفٍ من أصناف المسلمين وقع عليهم البلاء في دينهم وعقيدتهم.

ويبدأ الحديث في سورة العنكبوت عن الابتلاء الذي وقع لنوح عليه السّلام، وذلك في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥)} [العنكبوت: ١٤-١٥].**

فنوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، يدعو قومه، ويحرص على أن يدخلوا في دين الله تعالى، أملًا ورغبة في نجاتهم من عذاب الله تعالى، لكن لا مجيب، وما آمن معه إلا قليل، قابلوه بالصدّ والإعراض والسّخرية، وقابلهم بمزيد من الصّبر والدّعوة واثقًا بالله تعالى.

أيُّ ابتلاء أشدُّ من هذا الابتلاء، دعوة مع صبر على حالهم، والنّتيجة إيمان القلة فقط، ثم كانت العاقبة أن أخذهم الطوفان بسوء أفعالهم.

ثم تعرض السورة أنموذجا آخر من نماذج الابتلاء للأنبياء؛ إبراهيم عليه السّلام، وما حدث له من ابتلاء في دعوته قومَه حين كان يبيّن لهم أنّ ما يعبدون أوثانا لا تضرّ ولا تنفع، وأن الرّزق بيد الله تعالى، فصبر على دعوتهم، ولم يصبه اليأس والفتور، لكن كان جواب قومه أن ألقوه في النّار.

فكانت النتيجة أن آمن له نبي من أنبياء الله؛ لوط عليه السّلام، وجعل من ذريّته أنبياء ومرسلين، (اسحاق ويعقوب)، وجعل في ذريّته النبوّة والكتاب.

قال تعالى: **{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)} [العنكبوت: ١٦، ١٧]**

إلى قوله تعالى: **{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٥) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)} [العنكبوت: ٢٤ – ٢٧].**

ثم تعرض السّورة صفحة أخرى من صفحات الابتلاء الذي وقع على الأنبياء، فتعرض لنا ما حدث للوط عليه السّلام، وما لاقاه من قومه من كفر وصدّ، وفاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين. قال تعالى: **{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)} [العنكبوت: ٢٨، ٢٩].**

فما كان من لوط عليه السّلام إلّا أن صبر على هذا البلاء وهذا الامتحان، ونلاحظ أنّ هذا الابتلاء ابتلاء من نوع خاص تميّز به لوط عليه السّلام؛ قومه يأتون الفاحشة، ويفضّلون الذّكران على النّساء، انقلاب ومسخ في الفطرة الإنسانية، تردٍّ في الأخلاق والفضيلة، ماذا يصنع بهذه الحال؟ صبر على هذا السلوك المنحرف، وصبر على دعوتهم، وكانت نتيجة هذا الصبر أن أجاب الله دعوته، فأهلكهم الله بذنوبهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: **{وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)} [العنكبوت: ٣٣ – ٣٥].**

ثم تتوالى آيات سورة العنكبوت لتعرض لنا قصةً أخرى وابتلاءً آخر لنبي من أنبياء الله تعالى، إنّه شعيب عليه السّلام، فقد كذّبه قومه (أهل مدين) حين عرض عليهم دعوة الله

تعالى؛ أن يبتعدوا عن الإفساد في الأرض، إلا أنّهم كذّبوه وصدّوه، فما كان من شعيب عليه السّلام إلّا أن صبر على هذا الاختبار، ورضي واحتسب دعوته عند الله تعالى، فكانت الرّجفة عقابًا من الله تعالى على صدّهم وعنادهم، قال تعالى: **{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧)} [العنكبوت: ٣٦، ٣٧].**

وتذكر لنا سورة العنكبوت ابتلاء آخر مما وقع على أنبياء الله تعالى، وتذكر لنا هوداً وصالحاً عليهما السّلام، وما وقع من عاد وثمود من تكذيبهم أنبياءَ الله تعالى، وإصرارهم على ما هم عليه من كفر للنعمة، وشرك بالله تعالى، وكذلك اغترارهم بقوتهم، قال تعالى: **{وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)} [العنكبوت: ٣٨].**

ثم ما كان من قارون وفرعون وهامان، وهم نماذج لطغيان الحكم والمال، والإفساد في الأرض، وادّعاء الرّبوبية من قبل فرعون، فاتّبع موسى عليه السلام شتّى الوسائل والأساليب في دعوتهم وقومهم، وتدرّج معهم وصبر عليهم، ولحق موسى عليه السّلام ما لحقه من صنوف الأذى، فتحمّل جميع هذه الابتلاءات، فكان أن حلّ عليهم عقاب الله تعالى فأغرق الله فرعون وملأه، ونجّى الله سبحانه وتعالى موسى عليه السّلام وأتباعه.

هذه نماذج من سيرة أنبياء الله تعالى وتعرضّهم لألوان من الابتلاء والامتحان في مواجهة أقوامهم، فكانوا لنا قدوة حسنة تثبّت في النفس أثر الاحتمال في سبيل الإيمان والعقيدة.

أمّا سورة البروج فتعرض لنا صنفاً آخر من أصناف المبتَلَين، وهم المؤمنون الصّادقون الثّابتون على إيمانهم، الصّابرون على أذى المتجبرين وبطشهم، تتحدّث عن المؤمنين الذين أجبرهم الطّغاة الكافرون أن يدخلوا في دينهم، فامتنع المؤمنون من ذلك، فشقّ الكافرون أخدودًا في الأرض، ليقذفوا فيه أهل الإيمان، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن استمرّ على الإيمان قذفوه في النار، وهذا في غاية محاربة الله والمؤمنين.

قال تعالى: **{قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩)} [البروج: ٤- ٩].**

إنّها عظمة العقيدة التي أشربت قي قلوب المخلصين، "التي تعالت على فتنة النّاس مع شدّتها، وانتصرت على النّار وعلى الحياة ذاتها، وارتفعت إلى الأوج الذي يشرّف الإنسان في أجياله جميعا". (١)

إذًا فسورة البروج عرضت الابتلاء والفتن التي وقعت لأناس ليسوا بأنبياء، إنّما هم قوم تشرّبوا الإيمان الحقيقيّ وثبتوا عليه، فيكتمل المشهد في تناغم بديع، وتناظر جميل، يكتمل المشهد في صورة الأنبياء وتحمّلهم أذى أقوامهم، وما لحقهم من فتن وابتلاءات، وهم القدوة والأسوة الحسنة للبشريّة، والمشهد الآخر في سورة البروج؛ المؤمنون الصّادقون بإيمانهم، تحمّلهم جميعا لشتّى أنواع الفتن التي تعرض لهم في سبيل دينهم ودعوتهم.

المطلب الثاني: التعامل مع من يوقع البلاء على المؤمنين.

تذكر لنا سورة العنكبوت صنفًا من الأمم وقع عليهم الابتلاء وفُتنوا كغيرهم من الأقوام، لعموم قوله تعالى: **{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)} [العنكبوت: ٣].**

فبنو إسرائيل جمعوا بين أنّهم فُتنوا من قبل، فقد فتنهم فرعون، واستعبدهم وقتل رجالهم واستحيا نساءهم قال تعالى : ﴿**وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾ **[الأعراف: ١٢٧].**

وبين كونهم قد مارسوا الذي وقع عليهم ووقعوا فيه، فما من صنيعة سيّئة إلّا وارتكبها اليهود، قتلوا أنبياءهم، **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١)} [آل عمران: ٢١]**، وأفسدوا في الأرض، **{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)} [البقرة: ٦٠].** وفضلٌ عن كثير من الجرائم التي ارتكبوها مثل: كتمان الحقّ، اتّخاذ العجل إلهًا، ونبذ الكتاب وراء ظهورهم وتحريف كلام الله، وغيرها الكثير من مساوئهم.

---

١ – قطب، سيّد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن، بيروت– القاهرة، دار الشروق، ١٤١٢ه، ط١٧، ج٦، ص ٣٨٧٢.

وممّا جاء في سورة العنكبوت عن أهل الكتاب، وكيفيّة التّعامل معهم، حيث قال الله تعالى:" **{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)} [العنكبوت: ٤٦].**

إذ يخبرنا الله تعالى أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالخصلة التي هي أحسن، وذلك على سبيل الدّعوة إلى الله عزّ وجلّ، وتنبيههم على حجّته وبراهينه رجاء إجابتهم الإسلام، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة [إلا الذين ظلموا منهم] بأن أفرطوا في المجادلة ولم يتأدّبوا مع المسلمين فلا بأس بالإغلاظ عليهم والتخشّن في مجادلتهم [١] .

والآية فيها " أمر للمؤمنين أن يقولوا الحقّ الذي أوجبه الله عليهم، وعلى جميع الخلق ليرضوا به الله، وتقوم به الحجّة على المخالفين، فإنّ هذا من الجدال بالتي هي أحسن، وهو أن تقول كلاما حقّا يلزمك، ويلزم المنازع لك أن يقوله، فإن وافقك وإلّا ظهر عناده وظلمه" [٢] .

مع أنّهم وقع منهم الانحرافات، ووقع منهم الظّلم والتّنكيل، إلّا أنّ الله تعالى أمرنا أن نجادلهم بالتي هي أحسن، بالجميل من القول، وحسن الخلق، ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحقّ، وردّ الباطل وتهجينه بأقرب طريق وصل لذلك [٣].

ثم أمرنا الله تعالى أن نقول لأهل الكتاب: إنّ إلههم هو الإله الذي يعبده الجميع، وإنّه يجب الايمان بكلّ ما أنزل سبحانه وتعالى، **{وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)} [العنكبوت: ٤٦].**

---

١ – أنظر، الطّبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسّسة الرّسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ط١، ج٢١، ص١، والرّازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت: ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠ هـ، ط٣، ج٢٥، ص٦٦.

٢ – ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن عبد الله بن أبي القاسم (ت: ٧٢٨هـ)، الجواب الصحيح لمن بدلّ دين المسيح لابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، السّعوديّة: دار العاصمة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ط٢، ج٣، ص ٨٢.

٣ – أنظر، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم المنان، تحقيق: عبد الرّحمن بن معلا اللويح، مؤسّسة الرّسالة، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م، ط١، ج٦، ص٩٢.

ومع ذلك آمن منهم أقوام برسالة الإسلام، آمنوا إيمانا حقّا منزّها عن الإشراك بكلّ مظاهره، {**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧)**} **[العنكبوت: ٤٧]**{**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**} **[آل عمران:١٩٩]**.أمثال النّجاشي ، وعبدالله بن سلام.

فإذا عرفنا ذلك؛ فإنّ جدال أهل الكتاب ومن كان على غير طريق الإسلام يحتاج إلى جهد، وإلى بذل الوسع لنشر الدّعوة، ولربّما تعرّض الدّاعية لصنوف الأذى والعذاب، وهذا هو الابتلاء بعينه، ولعلّ الدّعوة إلى الله تعالى، وأساليبها التي من شأنها أن تنجح الدّاعية وتوصله إلى المدعوّ، هي أيضاً من الابتلاء؛ أيحسن الدّاعية عرض دعوته المدعوّين، فيقدّمها بصورة طيّبة مباركة كما فعل أنبياء الله تعالى والدّعاة العاملين، أم يتجاوز ذلك الابتلاء فيكون قد عرض الدّعوة عرضا سطحيًّا خاليًا من أيّ مقوّمات نجاح الدّعوة.

أمّا عن سورة البروج، فنجد صنفا آخر من المكذّبين، هم المشركون المستمرّون في تكذيبهم رسلَهم، يسيرون على طريق سلفهم من المكذّبين؛ فرعون وثمود.

وقد ذكرت لنا آيات سورة البروج فرعون وثمود؛ لأنّ ثمود في بلاد العرب، وقصّتهم مشهورة عندهم، أمّا فرعون فهو مشهور عند أهل الكتاب وغيرهم [١] .

يقول ابن عاشور: "وضرب المثل بقوم فرعون وبثمود وكيف كانت عاقبة أمرهم ما كذّبوا الرسل، فحصلت العبرة للمشركين في فتنهم المسلمين، وفي تكذيبهم الرّسول صلّى الله عليه وسلم والتّنويه بشأن القرآن" [٢].

---

١ – انظر القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت: ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م، ط٢، ج١٩، ص٢٩٨.

٢– ابن عاشور، محمد الطّاهر بن محمد (ت: ١٣٩٣هـ) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، (٣٠/ ٢٣٧)

"وهي إشارة إلى قصّتين طويلتين، ارتكانا إلى المعلوم من أمرهما للمخاطبين، بعد ما ورد ذكرهما كثيرًا في القرآن الكريم، ويسمّيهم الجنود، إشارة إلى قوّتهم واستعدادهم، هل أتاك حديثهم؟ وكيف فعل ربّك بهم ما يريد؟"(١).

و (بل) هنا للإضراب قال البيضاوي: " بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ لا يرعوون عنه، ومعنى الإِضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فإنّهم سمعوا قصّتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذّبوا أشدّ من تكذيبهم" (٢).

فهؤلاء رأوا من الآيات، وسمعوا من أخبار هؤلاء المهلكين، وقامت لهم الأدلة، لكنّهم لم يغيروا من ذلك، ناصبوا الرّسول العداء كحال فرعون وثمود ومن كان على شاكلتهم، فزادوا عليهم في الكفر والطغيان، وناصبوا الرّسول صلى الله عليه وسلم العداء.

فأهل الكتاب الذين جاء ذكرهم في سورة العنكبوت، وبما يتفقون مع المسلمين في أصل ديانتهم، كانت الدّعوة بمجادلتهم بالتي هي أحسن، وإقامة الحجّة عليهم، بما عندهم من علم من الكتاب، ومعرفتهم بأحقيّة رسالة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

المطلب الثالث: سلاح المبتلى (الإيمان والعمل الصالح)

الابتلاء سنّة الله في خلقه، وهو واقع بالأنبياء والصّالحين ومن سار عل طريقهم قال تعالى : **{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)} [العنكبوت: ٢]**، ويشتدّ الابتلاء بحسب إيمان العبد، وأكمل المؤمنين إيمانا أشدّهم ابتلاء ، "عن مصعب ابن سعد، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله، أيّ النّاس أشدّ بلاء؟ قال: الأنبياء ثمّ الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرّجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقّة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة"(٣).

---

١ – قطب، سيّد، في ظلال القرآن، ج٦، ص ٣٨٧٦.

٢ – البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٨٥هـ)، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٧١٨م، ط١، ج، ص٣٠٢.

٣ – رواه الترمذي، محمد بن عيسى سنن الترمذي ت بشار (ت: ٢٧٩ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م، (٤/ ١٧٩)، وقال عنه حديث حسن صحيح.

والحياة مليئة بالمصائب والمحن، والمؤمنون معرّضون لكثير منها، فيبتلى بنفسه وماله وولده، لكنَّ أشدَّ أنواع البلاء أن يبتلى المرء في دينه، فكان لزاما عليه أن ينظر إلى هذا البلاء النّظرة الصّحيحة، وإلّا زلّت به القدم، وخرج عن الصواب الذي أراده الله من هذا البلاء.

وقد أوردت سورتا العنكبوت والبروج السّلاح الذي يجب أن يتسلّح به كلّ مبتلى حتى يصبر فيرتقي إيمانه ويكون مؤمنا حقّا، فالمبتلى سلاحه الايمان والعمل الصالح، واللّجوء إلى الله تعالى بالتّضرّع والدّعاء بين يديه أن يكشف عنه البلوى ويزيل عنه الكرب.

وقد بيّنت سورة العنكبوت ذلك في قوله تعالى:" **{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)} [العنكبوت: ٢]**، فالإيمان سبيل النّجاة من الفتن، وإن كان المؤمنون هم أشدّ النّاس بلاء، إلا أنّ إيمانهم كفيل أن يعصمهم من الفتن، ومن الوقوع في شركها والاستسلام لها.

والإيمان أمانة وعلى قدر الإيمان يكون حمل الأمانة، قال سيّد قطب:" إنّ الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرّد لها وإخلاص، وإلّا الذين يؤثرونها على الرّاحة والدّعة، وعلى الأمن والسّلامة، وعلى المتاع والإغراء" [١].

أمّا في سورة البروج فيذكر لنا الله تعالى تعقيبا على ما فعله الكفّار الطّغاة في فتنه المؤمنين، **{وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨)} [البروج: ٨، ٩]**، فهم ما كرهوا المؤمنين، وما أنزلوا بهم ما أنزلوا من عذابٍ إلا لشيء واحد، هو أنّ المؤمنين أخلصوا عبادتهم لله تعالى.

ثم ذكر الله تعالى بعد ذلك، **{إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)} [البروج: ١٠]**، فالفتنة واقعة في حق المؤمنين والمؤمنات، ويدخل في هذه الآية جميع من عذب فتن المؤمنين والمؤمنات عن دينهم، ويدخل فيهم أصحاب الأخدود، وكفّار قريش، ومن على شاكلتهم في كلّ زمان ومكان [٢].

---

١ –قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٧٢٠.

٢ – انظر، طنطاوي/ محمد سيد (ت: ١٤٣١ه)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧–١٩٩٨م، ط١، ج١٣، ص٣٤٦.

إذًا فالإيمان عاصم من الفتن، والانزلاق فيها، وقوّته ثبات في وجه الظّلم، فمهما فعل الظالمون وبطش الطغاة وأجلبوا بخيلهم ورجلهم لفتنة المؤمنين، لن يستطيعوا فعل شيء، أو تغيره عن حقيقته ما دام أهل الإيمان متمسكين بعقيدتهم، ثابتين عليها، لا تضرهم أي فتنة، وأي بلاء؛ لأنّهم يعلمون أنّ المصير هو الفوز العظيم الكبير. **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)} [البروج: ١١]**، ونلاحظ أنّ الآية تربط بين الايمان والعمل الصّالح، فهما قرينان لا ينفكّان، فكما أنّ الايمان عاصم من البلاء فكذلك العمل الصالح، له أثره في دفع البلاء ورفعه.

وقد ختمت سورة العنكبوت بآية تثبت لنا أن الفتنة تُرفع إذا كان هناك مجاهدة للنّفس وعمل صالح، **قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)} [العنكبوت: ٦٩] قال** أبو سليمان الدّاراني:" ليس الجهاد في الآية قتال الكفّار فقط بل هو نصر الدّين، والردّ على المبطلين، وقمع الظالمين". [١]

فمن جاهد وعمل صالحًا وداوم على ذلك يهديه الله سبل الثّبات على الايمان، وسبل الثّبات في وجه الطّغيان، والوقوف في وجه الابتلاءات والفتن.

وقد بينت سورة العنكبوت كيف واجه الأنبياء عليهم السّلام الفتن، وجاهدوها ووقفوا في وجهها سدّا منيعا، فهذا نوح عليه السّلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم ويصبر على أذاهم، يعمل جاهدا لهدايتهم، وانتشالهم من ظلالهم.

وهذا إبراهيم عليه السّلام يلقى قي النار بصبر وثبات، **{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤)} [العنكبوت: ٢٤]**، وبهذا يتبن بشكل عمليّ أنّ المطلوب هو مواجهة الفتن بالعمل الصّالح والصّبر والمجاهدة، نرى ذلك من نماذج بيّنتها سورتا العنكبوت والبروج.

فالسّورتان تكاملتا مع بعضيهما في بيان أنّ الإيمان والعمل الصّالح والمجاهدة والصّبر هما سبيل مواجهة الفتن التي يتعرّض لها المؤمن في طريق الحقّ وطريق الإيمان.

---

١ – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص ٣٦٥.

المبحث الرابع: عاقبة المبتلين والمبتلين.

لا شكّ أنَّ الله تعالى هو العدل، ولا يُظلم عنده أحد، وقد حرم الله تعالى الظّلم على نفسه؛ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا... الحديث" (١).

ولا شكّ أن الله سبحانه سيعطي كلّ ذي حقٍّ حقّه، فأمّا الذين فُتنوا في الدّنيا فسيجزيهم الله على ذلك إنْ في الدنيا أو في الآخرة، وأمَّا أولئك الظّالمون المعتدون الغاشمون، الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات فقد بيّن الله تعالى لنا صورًا منوّعة من جزائهم في الدّنيا، وذكر لنا مصيرهم أيضا يوم القيامة.

وقد بيّنت سورة العنكبوت والبروج مصير الفريقين، سواء في الدنيا أم في الآخرة.

عاقبة المبتلَين:

أبدأ الحديث عن عاقبة من وقع عليه البلاء، ففي الحديث عن قصّة نوح في سورة العنكبوت، يذكر الله تعالى لنا أنّه نجّى نوحا ومن كان معه في السّفينة من المؤمنين المبتلين، قال تعالى: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥)} [العنكبوت: ١٤-١٥].**

وأما قوم إبراهيم عليه السّلام فقد ضاقوا به ذرعا حينما دعاهم إلى الله تعالى، وبيّن لهم أن آلهتهم لا تدفع عن نفسها ضرّا ولا تجلب لها نفعا، حينها كسر إبراهيم الأصنام، وأراهم وهانة ما يعبدون.

---

١ – رواه مسلم، مسلم بن الحجّاج أبو الحسن القشيري النّيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التّراث العربي، ج٤، ص ١٩٩٤.

لكنّهم أرادوا به كيدًا، وألقوه في النّار، فجعلها الله بردًا وسلاما عليه وخرج منها سالما، لم يمسّه أيُّ أذى، قال تعالى: **{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤)} [العنكبوت: ٢٤، ٢٥]**، وهكذا يكون نصر الله أولياءَه، وهكذا يحيق المكر السيّء بأهله.

أمّا لوط فأنجاه الله تعالى وأهله بعد أن ثبت أمام الابتلاء العظيم، فقد خلَّصه الله تعالى وأنجاه من القرية التي كانت تعمل الخبائث، وطغى عليها الفسق؛ لينال لوطٌ عليه السلام جزاء صبره وثباته سعادةً وفلاحًا في الدنيا قال تعالى: **{وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥)} [الأنبياء: ٧٤، ٧٥]**، ثم قال في سورة العنكبوت: **{وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣)} [العنكبوت: ٣٣]**.

ثمّ بيّن الله تعالى في نهاية السّورة حال الأبرار المتّقين، الذين صبروا على الابتلاء، وتحمّلوا الإيذاء في سبيل دينهم وعقيدتهم، وقد وعدهم الله سبحانه وتعالى الجنة على صبرهم، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩)} [العنكبوت: ٥٨، ٥٩]**.

هذه عاقبة المؤمنين المبتلين كما تعرضها سورة العنكبوت، فقد بيّنت كيف نجّى الله أنبياءه من هذه الفئة المجرمة، وكيف كانت عاقبة المؤمنين الموحّدين الصّابرين على الابتلاء، ثمّ بيّنت عاقبتهم في الآخرة أنّ لهم الجنّة جزاء بما صبروا فنعم عقبى الدّار.

لكن من زاوية أخرى تعرض لنا سورة العنكبوت عاقبة المبتلين فلعلّ مبتلى لا يأخذ حقّه في الدّنيا يكون قد وعده الله تعالى جزاءه في الآخرة.

أمّا سورة البروج فتعرض لنا ما تعرَّض له المؤمنون من ابتلاء، ولكن الله وعدهم الجزاء الأخروي، وأنّ الجنّة هي دارهم ومأواهم والفوز الكبير الذي أعدّه الله لهم، جزاء لهم بما صبروا على الأذى، وبما تمسّكوا بعقيدتهم ودينهم، واختاروا ما عند الله على الحياة الفانية، وارتفعوا على فتنة النّار.

والمؤمن في هذه الدنيا يعيش امتحانا قال تعالى: **{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)} [الملك: ٢]**، فقد يبتلى في صحّته وأولاده وماله، وقد يبتلى قي دينه، فينظر أيكون على قدر هذا البلاء أم يسقط في الاختبار.

وجزاء الدّنيا إن أخذه المؤمن فهو قليل بسيط إذا ما قورن بجزاء الآخرة، لكنه يُقرُّ عينَ المظلوم، ويريح قلبه، أما الجزاء والنّعيم الأخروي الذي أعدّه الله تعالى لعباده المبتلين فهو عظيم كبير، فأصحاب الأخدود وكثير ممن أبتلي من عباد الله المؤمنين، لم يروا نصر الله تعالى لهم، بل كانت عاقبتهم أن ضحّوا بأنفسهم فداء لدينهم، والله وعدهم وأعدَّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، جزاءً بما صبروا وبما ضحّوا في سبيل الله تعالى قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)} [البروج: ١١]**.

عاقبة المبتلِين:

نرى في سورة العنكبوت أن الله سبحانه وتعالى جازى من أوقع البلاء على المؤمنين، إمّا بالعذاب، أو الهلاك، أو الغرق، أو غيره من صنوف العذاب.

فقوم نوح حلَّ بهم الغرق، قال تعالى: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤)} [العنكبوت: ١٤]**، وفي الآخرة عذاب النّار وبئس المصير، **{مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥)} [نوح: ٢٥]**.

ولم تشر آيات سورة العنكبوت، وكذلك باقي آيات القرآن الكريم إلى مصير قوم إبراهيم في الدّنيا، مع أنّهم كفروا ربّهم، ولم يتوبوا شأن معظم أقوام الأنبياء الذين أهلكوا لكفرهم وظلمهم.

إلا أنّه هناك إشارات إلى هلاكهم، لكن تفاصيل هذا الهلاك غير معلومة، ولم يذكرها القرآن الكريم، ففي قوله تعالى: **{وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤)} [الحج: ٢٤-٤٤]**. فقد ذكر الله تعالى

بعد تكذيب الأقوام سابقة الذّكر، أنّه أخذهم وعاقبهم على كفرهم، وقد جعل قوم إبراهيم مع قوم نوح وعاد وثمود ولوط الذين تبيّن هلاكهم في الدّنيا.

أمّا قوم لوط فقد ذكرت آيات سورة الحجرات ما حلَّ بهم من عذاب، إذ يقول الله تعالى: **{إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [العنكبوت: ٣٤]**، والرّجز الذي حلّ بقوم لوط ذكره الله تعالى في سورة هود، **حيث قال الله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} [٨٢-٨٣]**.

أمّا قوم شعيب فقد ذكرت السّورة ما حلّ بمدين من عذاب، إذ قال الله تعالى: **{فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [العنكبوت: ٣٧]**، فقد أصابتهم صيحة من السّماء، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم؛ فزهقت الأرواح، وفاضت النّفوس، وخمدت الأجسام.

ثم جاء التّعقيب بعد ذلك بذكر قوم عاد وثمود وما حلّ بهم من هلاك، وكذلك الحديث عن قارون وفرعون وهامان؛ فقد ملكوا القوّة والمال وأسباب البقاء والغلبة، وقد أخذهم الله جميعا بعدما فتنوا الناس وآذوهم طويلاً.[١] قال تعالى: **{فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: ٤٠]**.

"هذا بيان لصور العذاب، وألوانه التي حلّت بالقوم الظّالمين، فهم وإن وقع بهم العذاب جميعا، إلَّا أن كل قوم قد شربوا من هذا العذاب، بكأس غير الكأس التي شرب بها غيرها"[٢].

ثمّ تبيّن الآيات بعد طلب المشركين أن يعجّل الله لهم العذاب، تهكّما منهم وسخرية، واستبعادا أن يكون هذا العذاب حاصلا سواء في الدّنيا أم في الآخرة، جاءت الآيات بعدها تبيّن حقيقة يغفل عنها هؤلاء، وهي أن العذاب في الدّنيا إنّما يأتي لحكمة تراها رحمة الله تعالى،

---

١ – انظر، قطب، سيّد، في ظلال القرآن الكريم ج٥ ص ٢٧٣٦.

٢ – الخطيب، عبد الكريم يونس (ت:١٣٩٠)، التّفسير القرآني للقرآن، القاهرة: دار الفكر العربي، ج١٠ص٤٣٢.

ولولا هذه الحكمة لعجَّل العذاب لأولئك الظّالمين، والعذاب حين يأتي يأتي بغتة وهم لا يشعرون، وإنّ العذاب الحقيقي هو عذاب جهنّم، الذي أعدّه الله تعالى لهم.

قال تعالى: {ويستعجلونك بِٱلۡعَذَابِ ولَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (٥٣) يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ (٥٤) يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٥٥)} [العنكبوت: ٥٣-٥٥].

وبهذا تقرّر الآيات الحقيقة التي رسمتها سورة البروج وهي تتحدّث عن مصير أولئك الظّالمين، الذين اعتدوا على المؤمنين ليصرفوهم عن دينهم بالحرق والتّنكيل، فبيّن الله الوعيد الشّديد لكلّ من يرتكب جريمة الاضطهاد للمؤمنين، فكلّ من يعمل هذا العمل، فهو داخل في عموم هذه الآيات في أيّ زمان أو عصر كان، والله سبحانه لن يهمل الكافرين المتكبّرين الظالمين، الذين يعيثون في الأرض ظلما وقتلا وتشريداً لا لشيء إلّا لأنّ المقابل هم من أهل الإيمان.

فالله تعالى يتوّعد الطّغاة، ومشيئته نافذة، وبطشه سبحانه وتعالى واقع بهم، قال تعالى: **{إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ (١٤) ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ (١٧) فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ (١٩) وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ (٢٠) بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ (٢١) فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۢ (٢٢)} [العنكبوت: ١٢-٢٢].**

فما مرَّ بالمستضعفين من قتل وتنكيل وتعذيب يناسبه العذاب الذي سيلقاه أولئك الطّغاة " فالجزاء من جنس العمل" لكن بطش الله شديد، لا بطش الضّعاف المهازيل، الذين يتسلّطون على رقعة من الأرض محدودة.

وفي التّهديد والوعيد اللذين ساقهما الله تعالى ثبات للمؤمنين على الحقّ، ثبات على ثبات وصبر على صبر، فالعاقبة ستكون للمتّقين كما وعد ربّ العالمين، قال تعالى: **{تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣].**

الخـــــاتمـــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، والصّلاة والسّلام على محمّد بن عبد الله خـــاتم الأنبياء المرسلين.

نحمد الله تعالى أن منَّ علينا كتابة هذا البحث عف" التّناظر بين ســـورتي العنكبـــوت والبروج"، حيث بيّنا ما في السّورتين من تناظر وتقابل في الموضوعات، إذ يظهـــر تناســـق القرآن العجيب بين سوره وآياته، تناسقا يدعو إلى التّدبر والنّظر في كتاب الله تعالى، تُم العمل بما جاء به، التزاما بأوامره، وابتعادا عن نواهيه، وعملا بهديه وإرشاده.

ومن هذه الدراسة وقفنا ولله الحمد على هذه النتائج:

١- تبين أنَّ هناك تناظرا واضحا وتقابلا ملحوظا بين سورتي العنكبوت والبروج.
٢- كلتا السّورتين تدور حول موضوع واحد ويربطهما رباط دقيق ووثيق، ولاســيَّما من المحور الذي تتحدّث عنه كلّ سورة، فالابتلاء والفتن كانـــا حاضـــرين فـــي السّورتين، فسورة العنكبوت تحدّثت عن فتنة العلم وفتنة القوة والحيـــاة والشّـــهوة والتّهديد والتّعذيب، كما أنّ سورة البروج تحدّثت عن الفتن التي لاقاها المؤمنـــون على أيدي الطّغاة الكافرين؛ الفتنة في الدّين والتي هي رأس الفتن جميعها.
٣- من أوجه التّناظر في السّورتين، أنّ كلتيهما عرضت أصنافا للمبتلين، ففي سورة العنكبوت عرضت نماذج للابتلاءات التي وقعت للأنبياء والمرسلين، أمّا ســـورة العنكبوت فعرضت للابتلاء الذي يحلّ بالمؤمنين في دينهم وعقيدتهم، وبهذا تجتمع

صور الابتلاء للموحّدين جميعهم سواء من كان مؤيّدا من الله بالوحي، أم من سار يحمل عقيدته على أنّه لحمه وعظمه ودمه.

٤- كلتا السّورتين تبيّن كيفيّة مواجهة المؤمنين الابتلاءَ، وما السّلاح الذي يجب أن يكون مع المؤمنين وقت الابتلاء، فالإيمان والعمل الصّالح هو خطّ الدّفاع الأوّل لمواجهة أيّ فتنة يتعرّض لها المؤمن، فمهما كانت النوازل والفتن كبيرة وعظيمة فالمؤمن، إذا ما تسلح بهذين السّلاحين، لن تضرّه فتنة، ولن تكون إلا أذًى بسيطا إذا ما قورن بالنّتيجة التي سينالها سواء في الدنيا أم في الآخرة.

٥- عرضت السورتان عاقبة المبتلَى وعاقبة المبتلِي، بصورة تكامليّة تناظريّة عجيبة، إذ بيّنت السّورتان مصير كلّ واحد منهما، سواء عجَّل له الله العذاب في الدنيا أم أجّله ليوم القيامة.

التّوصيات:

نوصي الباحثين وأهل العلم بالنّظر في القرآن الكريم، وتدبّره والعمل على إظهار جوانب أخرى في تناسقه وتكامله ولا سيما هذه النظرية التي تحتاج إلى مزيد من البحث، وإلى تظافر جهود الباحثين، وإلى المشاريع العلمية وخاصة الدّراسات العلميّة لطلبة الماجستير والدكتوراه.

هذه بعض النّتائج التي تمّ التّوصّل إليها في هذه الدّراسة، نسأل الله تعالى التوفيق والسّداد والرّشاد، ونساله سبحانه الإخلاص في القول والعمل وأن يجعل هذا العمل متقبّلا.

وصلّى الله وسلّم وبارك على حبيبنا محمّد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٧١٨م، ط٢.

٢. الترمذي، محمد بن عيسى **سنن الترمذي** (ت: ٢٧٩ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم (ت: ٧٢٨هـ)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية**، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، السعودية: دار العاصمة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ط٢.

٤. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (ت: ٢٤١هـ)، **مسند أحمد بن حنبل**، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨ م، ط.

٥. الخطيب، عبد الكريم يونس (ت:١٣٩٠)، **التفسير القرآني للقرآن**، القاهرة: دار الفكر العربي.

٦. خالد، عمرو، **خواطر قرانية نظرات في أهداف سور القرآن**، بيروت: الدار العربية للعلوم، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م، ط١.

٧. الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت: ١٠٦٩هـ)، **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عنَايةُ القَاضى وكفَايةُ الرَّاضى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي**، بيروت: دار صادر.

٨. الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر(ت:٧٩٤)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦ه-١٩٥٧م، ط١.

٩. الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت: ٦٠٦هـ) **مفاتيح الغيب**، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠ هـ، ط٣.

١٠. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير **الكريم المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ط١.

١١. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت: ٣١٠هـ)، جامع **البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م،

١٢. طنطاوي، محمد سيد (ت: ١٤٣١ه)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧-١٩٩٨م، ط١.

١٣. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت: ١٣٩٣هـ) **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب** المجيد، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٤. ابن فارس، أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا (ت: ٣٩٥ه)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ.

١٥. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (ت: ١٣٣٢هـ)، محاسن **التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ه، ط١.

١٦. قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي(ت: ١٣٨٥هـ)، **في ظلال القرآن**، بيروت- ا لقاهرة، دار الشروق، ١٤١٢ه، ط١٧.ط١

١٧. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري (ت: ٦٧١هـ) الجامع **لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، ط٢.

١٨. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المجلات

الرواجفة، أيمن عيد، **نظرية شبكة التناظر في القرآن الكريم: مبدأ النظرية**. الأطروحة: العلوم الإنسانية، السنة ٣ العدد ٩، ١١-٢٢، ٢٠١٨.

سليمان الدقور وأيمن الرواجفة، **التناظر في القرآن تأصيل وتطبيق**، مجلة إسلامية المعرفة، العدد:٩٦، السنة الرابعة والعشرون، ربيع ١٤٤٠ه / ٢٠١٩م.